

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 17 (2012) : 200 - 210
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

# قراءة في نوازل
# الشيخ باي بن عمر الكنتي الوافي

**لخضر بن قومار**
قسم العلوم الإسلامية جامعة غرداية
غرداية ص ب 455 غرداية 47000 ,الجزائر

## توطئة:

يعتبر فقه النوازل من أهم العلوم التي اعتنى بها المسلمون في مختلف العصور ودونوه وحفظوه ووضعوا له ضوابطه وقواعده لأنه يدل على كمال الشريعة ويدرس المستجدات والوقائع المستحدثة في أي عصر، فيبين حكم الله فيها، وقد ترك العلماء تراثاً ضخماً في هذا المجال وأصبحت هذه الكتب والمؤلفات من المصادر التي يُرجع إليها ويستعان بها.

ومن المعروف أن هذه النوازل تختلف باختلاف الزمان والمكان والظروف، فلكل زمان نوازله ولكل قوم أعرافهم وعاداتهم ومستجداتهم، ومن هنا فإن هذه الكتب أصبحت مرجعاً للدارسين والمؤرخين وعلماء الاجتماع في بحوثهم ودراساتهم.

وقد اعتنى علماء المالكية على غرار المذاهب الأخرى بفقه النوازل، وأولوه عناية بالغة يدل عليها ما تركوه من مؤلفات نذكر منها على سبيل المثال[(1)]:

1. معين الحكام في نوازل القضايا والأحكام: لإبراهيم بن عبد الرفيع.
2. مذاهب الحكام من نوازل الأحكام: للقاضي عياض.
3. النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام: لأبي حسن علي بن عبد الله المتيطي.
4. الإعلام بنوازل الأحكام: لأبي عيسى بن سهل الأسدي القرطبي..
5. نتائج الأحكام في نوازل الأحكام: لأحمد الرهوني التطواني.
6. نوازل الأحكام: لأبي مطرف عبد الرحمن بن قاسم.
7. نوازل: محمد بن خلف بن الحاج.
8. نوازل: ابن رشد.
9. جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا بالمفتين والحكام:لأبي القاسم ابن المديني البرزلي
10. الدرر المكنونة في نوازل مازونة: لأبي زكرياء يحيى المازوني.
11. المعيار المعرب: للونشريسي.
12. مختصر نوازل البرزلي: لأحمد بن عبد الرحمن حلولو اليزليتني.
13. نوازل: أبي العباس بن عبد الله الورزازي السوسي.
14. نوازل: المسناوي محمد بن أحمد.
15. النوازل المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبل غمارة: لعبد العزيز بن الحسن الزياتي.

- وبعض هذه النوازل معتمدة في الإفتاء كما قال النابغة الغلاوي الشنقيطي رحمه الله[(2)]:

واعتمدوا نوازل الهلالي
ودرّة النثْيرِ كاللّئَالي
كذاك ما يُعْزى إلى مازونه
وهو المسمى الدُّرر المكنونه
واعتمدوا المعيار لكن فيه

أجـــــوبــةٌ ضعّفـهـا بفيـه

ومن بين النوازل المهمة في المذهب المالكي نوازل الشيخ باي بن عمر الكنتي الوافي رحمه الله وهي موضوع هذه الدراسة.

**المطلب الأول: تعريف فقه النوازل لغة واصطلاحاً:**

**أ- تعريف الفقه:**

**لغة:** الفِقه بالكسر: فهم الشيء. **اصطلاحاً:** معرفة الأحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلية.

**ب- تعريف النوازل:**

**لغة:** النوازل: جمع نازلة، قال ابن فارس: (النون والزاي واللام) كلمة صحيحة تدل على هبوط الشيء ووقوعه.والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل. ومن ذلك مشروعية القنوت في النوازل.

**اصطلاحاً:** لا تبعد عن معناها اللغوي فهي: قضية حادثة لم يكن فيها حكم لمتبوع، كما عرفتها الموسوعة الفقهية، ثم توسع الفقهاء في مفهومها حتى دخلت فيها كل الفتاوى سواء كان لها نص من الكتاب والسنة أو قيست على مثيلاتها اجتهادا، اختلفت ألفاظ العلماء في تسمية هذه النوازل، ولذلك نجد كتابا واحدا بمسميات مختلفة، فتاوى ابن رشد مثلاً: يسميها ابن الوزان تلميذه وابن سلمون وغيرهما **"مسائل ابن رشد"**، وخليل ابن إسحاق يسميها في توضيحه **"الأسئلة"** وكذلك البرزلي ، وابن خير يسميها **"الجوابات"** ، وأبو الحسن الصغير **"الأجوبة"** وكذا ابن فرحون وابن ناجي والمواق في بعض المواطن من التاج ، وسماها يوسف ابن عمر **"بالنوازل"** وكذا ابن عرفة وغيرهم والمهدي الوزاني في فتاواه الجديدة، وسماها ابن فرحون والزركلي **"الفتاوى"**.

وعرفها بعض المعاصرين بمايلي:

- تعريف الدكتور الحسن الفلالي: "الواقعة والحادثة التي تنزل بالشخص سواء في مجال العبادات أو المعاملات أو السلوك والأخلاق، حيث يلجأ هذا الشخص إلى من يفتيه بحكم الشرع في نازلته"[3]
- تعريف الأستاذ عبد العزيز خلوف: "في الواقع مشكلة عقائدية أو أخلاقية أو ذوقية يصطدم بها المسلم في حياته اليومية فيحاول أن يجد لها حلا يتلاءم وقيم المجتمع بناء على قواعد الشريعة "[4]

**المطلب الثاني: حكم دراسة النوازل:**

فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين, لأن تبيين العلم وما يحتاج إليه الناس واجب على الكفاية. قال تعالى:( وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ )[5]

وإنما كان على سبيل الكفاية لأن المطلوب هو تحقيق هذا العمل على وجه الجملة. وهو واجب على العلماء والمجتهدين لأن العامي لا دخل له في هذا الموضوع.

**المطلب الثالث: أهمية فقه النوازل:**

تكمن أهميته دراسة النوازل الفقهية فيما يلي:

1. إنارة السبيل أمام الناس بإيضاح حكم هذه النازلة حتى يعبدوا الله على بصيرة وهدى ونور في منهج إسلامي واضح, فلو ترك أهل الحلّ والعقد-وهم المجتهدون- التصدي لتلك النوازل دون إيضاح لأحكامها لصار الناس في تخبّط ثم استفتوا من لا يصل إلى رتبة الاجتهاد، فيفتي بغير علم فيَضِلّ ويُضِلّ.

2. بيان كمال الشريعة وأنها صالحة لكل زمان ومكان, فما من نازلة من النوازل إلا ولها حكم في الشريعة قال الله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً )[6] وقال سبحانه و تعالى:(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)[7].

3. الحرص على تأدية الأمانة التي حمّلها اللهُ العلماءَ؛ فقد أخذ اللهُ الميثاقَ على العلماء ببيان الأحكام الشرعية وعدم كتمانها، وقد حصر التكليف بهم؛ فكان لزاماً عليهم التصدي للفتوى في النوازل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وذلك إبراء للذمة بالقيام بتكاليف إبلاغ العلم وعدم كتمانه.

4. الاستجابة لأمر الله وأمر رسول في الاستزادة من العلم وتبليغه ونشر دين الله، قال الله: (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)[8]. وقال سبحانه وتعالى: (قلْ هل يستوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[9].

وقال سبحانه وتعالى:( يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ )[10].

وقال صلى الله عليه وسلم:{من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة}[11]

وأيضاً قول النبي:{ من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع}[12].

5. التقرب إلى الله عز وجل بدراسة هذه النوازل لأن دراستها من تعلم العلم وتعليمه.

6. كسب الثواب والأجر عند الله عز وجل، لأن العالم والمجتهد إذا بذل جهده ونظره في تعلم حكم هذه النازلة وما هو حكمها أجر على جهده، وفي الحديث أن النبي قال:{إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد} متفق عليه.

7. القيام بهذا الفرض وهو فرض الكفاية لأنه كما أسلفنا أن تعلم هذه النوازل هذا فرض على الكفاية فكون الإنسان يتصدى لمعرفته وتبينه للناس هذا قيام بفرض من فروض الإسلام.

8. اكتساب الدارس لهذه النوازل ملكةً فقهيةً، قال صلى الله عليه وسلم:{من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين}[13]

**المبحث الثاني: دراسة نوازل الشيخ باي رحمه الله:**

**المطلب الأول: ترجمة الشيخ باي بن عمر رحمه الله:**

هو الشيخ باي سيدي مَحمد ـ بفتح أوله ـ الكنتي الوافي يعرف بالصغير بن الشيخ سيدي اعمر بن الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار المشهور بالشيخ الكبير الكنتي بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن حبيب الله بن الوافي بن الشيخ سيد عمر الشيخ بن سيد أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي بن سيد علي بن يحي بن عثمان بن يهس بن دومان بن ورد بن العاقب بن عقبة المستجاب بن نافع فاتح إقليم إفريقية والمغرب الأقصى، وبلاد التكرور[14]. وأما والدته فهي (سيسًّا) أنعم الله تعالى عليها فصارت أما لولد من خيرة الأولاد وكدليل علي خيريته فقد أعتق جميع أقرباء أمه عند ما بلغ مبلغ الرجال منا من الله عليه إذ جمع له بين فضائل العتق وصلة الرحم وبر الأم[15]، وقد ذكر الشيخ سيدي محمد بن بادي في قصيدته: **(الناي لمن قد مّت بنسب لفخذ من كنتة)** وهي منظومة في تاريخ قبيلة كنتة، بيتاً يقول فيه[16]:

كنته انتمت بالاتفاق الشائع للمستجاب عقبة بن نافع وقبيلة كنته هي أحد القبائل العربية المنتشرة في موريتانيا ومالي والنيجر وجنوب المغرب والجزائر، والسنغال[17].

واسم كنتة يرتبط بجد القبيلة سيدي محمد الكنتي: هو من ذرية عقبة بن نافع الفهري -كما سبق ذكره- ويقول عنها بول مارتي في كتابه كنتة الشرقيون:" كنتة هي تلك السلالة القوية، والتي تتدرج فروعها المختلفة ابتداء من توات حتى منطقة (زندر) بواسطة الطوق الغربي من الصحراء الكبرى المتمثل في توات وأدرار الموريتاني، وثقانت، والعصابة، والحوض، وأزواد، وعقفة نهر النيجر، وتيمترين، وأدرار إفوغاس"[18].

**مولده ونشأته:**

ولد الشيخ محمد باي بن عمر في بيت العلم الكنتي بلا نزاع ولا دفاع فهو ابن الشيخ سيد عمر الابن التاسع في الترتيب الميلادي لأبناء الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار الكبير الكنتي. إلا انه ولد قبل وفاة أبيه بما يقارب الخمس سنوات وأبوه توفي سنة (1291 هـ) أما مكان ولادته فبزاويتهم أتليه، وقد ذكر بول مارتي في كتابه "كنتة الشرقيون" أنه ولد سنة(1285هـ) الموافق لـ:(1865م)، وكوّن أجيالا من كنتة صالحين، وتغلغل نفوذه إلى قبائل الطوارق[19].

ذكرنا سابقا أن الشيخ باي رحمه الله توفي والده وهو ابن خمس سنوات تقريباً ؛ ولذلك فإن أخاه الأكبر سيدي محمد باب الزين الذي خلف والده في إدارة شؤون الزاوية هو الذي قام بالدور الأساسي في تعليم وتربية وتكوين شخصية الشيخ باي رحمه الله لأنه أصغر إخوته وتربى في حجره يتيما. وقد بقي تحت يده ولم يفارقه لطلب علم ولا لغيره طيلة (23 سنة) بعد وفاة والدهما إلي أن توفي الشيخ سيد محمد باب الزين سنة (1314 هـ) ليأتي دور الشيخ باي في تبني الزاوية التي طال ما تبنته وليقوم بدور خلافته عليها أحسن القيام.

أما عن طلبه للعلم فقد درس على والده الشيخ سيدي عمر أولا ,ثم على أخيه الشيخ سيدي محمد باب الزين أحمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير[20]، وله إجازة من العلامة التواتي الشيخ حمزة الفلاني القبلاوي[21]، وهي في الحديث[22].

أ- **تلاميـذه:**

لقد تخرّج على يد الشيخ باي ما يقارب مائة عالم[23]، ومن أشهرهم:

1) الشيخ سيدي محمد بن بادي: هو ابن أخت الشيخ وأنبل تلامذته وأخصهم به، العالم العلامة والحبر الفهامة الجامع بين المعقول والمنقول واسم باد المختار بن محمد بفتح أوله ولقبه باي بن سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار كان عالما متضلعا في كثير من الفنون له المؤلفات العديدة. وهو الذي جمع نوازل الشيخ باي رحمه الله موضوع البحث.

2) الشيخ سيدي محمد البكاي: المعروف بأمك [24] الذي يقول عنه الشيخ سيدي محمد بن بادي في بداية "النيرات السبع":« وأول من سألته العالم سيدي محمد البكاي بن سيدي الأمين، وهو من أكابر تلامذة الشيخ سيدي محمد باي المتوفى عام(1382 هـ)(1387 هـ)، وقد كان متقناً لكتاب الله مقدّما في حفظ الأحاديث، وعلمها، كثيرا ما يقدمه شيخه لقراءة الحديث، فقيها، بصيرا بفنون العلم كلها »[25]

3) الشيخ محمد امبارك بن سيدي عمر الأحبوسي الجعفري: في منطقة دنق (النيجر)

4) الشيخ محمد ولد إبراهيم الدرعي: في منطقة (تنبكتو)

5) بكته بن إبراهيم الهقاري: في منطقة (الهقار)

6) عبد الواحد السوداني: في غرب إفريقيا.

ومن تلاميذه أيضا : الشيخ محمد أمبارك بن سيد أعمر الأحبوسي الجعفري، والشيخ محمد بن يونس السوقي، والشيخ باي العزاوي الإينغري، والشيخ محمد بن إبراهيم الدرعي، والشيخ أحمد بن الجنيدي السوقي[26]. فهؤلاء قلة من تلامذته الذين ذاعت شهرتهم وامتازوا بكونهم قدوة في العلم والعمل معا في آفاقهم.

**مؤلـفاته:**

أما عن مؤلفاته فقد ذكر (بول ماري) العديد من مؤلفاته وهي[27]:

1. شرح الأحاديث المقرّية ( السنن المبين من كلام سيد المرسلين).
2. شرح الأخضري في العبادات.
3. شرح أحمرار بن بونة الجكني على ألفية بن مالك
4. فتح البصيرة في العقيدة والعبادات: وهو مع صغر حجمه فهو من أشمل المختصرات في العقيدة والعبادات وقد انكب عليه الطلبة منذ تأليفه إلى الآن.
5. شرح نظم مبطلات خليل: وهذا الشرح أيضا توسع فيه الشيخ وناقش بعض المسائل وأبدى فيها رأيه, وقد سبقه العلامة الشيخ حماه الله فشرح بعضا من هذا النظم، فجاء الشيخ فأتمه ونبه قبل البداية أن الشيخ حماه الله لم يصب في بعض المسائل مما تكلم عليه من النظم ,وعلى كل فهو شرح مفيد جلب فيه الشيخ أنقال العلماء وقارن بينها.
6. وله ترجمة للشيخ سيدي عمر بن سيدي علي، أضاف إليها ترجمة للشيخ حماه الله ناظم الرسالة وأخرى لمؤلفها.
7. وله شرح على ألفية ابن مالك المشهورة.
8. وله شرح على الأربعين النووية.
9. وله نوازل جمعها تلميذه سيدي محمد بن بادي[28]

**وفـاتــه:**

أما عن وفاته فقد ترجم له الشيخ سيدي محمد بن بادي تلميذه وابن أخته ترجمة مختصرة في كتابه: "زينة الفتيان" فقال: «هو شيخنا: سيدي المختار شمس الضحى وقطب الرحى في فني المعقول والمنقول الجامع بين الشريعة والحقيقة. في طريقة الوصول الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يقوم معه من الضلال والبدع قائم، المتقن لعوالم الكتاب والسنة ومذاهب الراسخين من الأئمة أجد

في العلوم وأعاد، وصنف فأجد وأفاد، وفات عمره في تحصيل العلم وتعليمه وإحياء دين النبي ﷺ وتعميمه حتى قبضه الله على السنة الغراء تاركا أثره في كل فن علما للاهتداء. وإلى تاريخ وفاته أشرت بقولي:

عشا خميس طك ربيع الثان عام
حمسش مات شيخنا باي الإمام

وسنة ثلاثة وستون كما هو عمر النبي ﷺ»[29]. انتهى. وقد ذكر ذلك أيضا في كتابه "مراتع الخريف على بغية الشريف" بقوله: المتوفي عشاء خميس تسعة وعشرين من ربيع الثاني سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة وألف (1348هـ)»[30] الموافق لـ: 1927م وَنظم ذلك في البيت الشعري المذكور سابقا.

**المطلب الثاني: أهمية نوازل الشيخ باي ومواضيعها:**

**أولاً: أهمية نوازل الشيخ باي بن عمر وانتشارها:**

انتشرت فتاوى الشيخ باي الكنتي المعروف بصحراء أزواد بالشيخ باي بن سيد اعمر عبر هذه الصحراء في مالي، وهو مكان ولادته ووفاته، وإن كان أصله جزائريا لأنه لا شك في أنه من أولاد عقبة بن نافع الفهري القرشي فاتح إفريقيا دفين بسكرة بالجنوب الجزائري، وقد انتشرت أيضا في الجزائر وخصوصاً بالجنوب حيث توجد منها مخطوطات متداولة، وكذا في النيجر ونيجيريا وموريتانيا والسنغال وغيرها من دول الساحل الصحراوي.

وتتميز هذه الفتاوى عن كثير من مثيلاتها بأن جامعها الشيخ سيدي محمد بن بادي الكنتي ابن أخت المؤلف وصهره وابن عمه فكلاهما حفيد للشيخ المختار الكبير، فهو الذي جمع هذه النوازل وسافر من أجلها إلى كل من عرف أن شيخه أفتاه فتوى كتابية حتى حصل منها هذا السفر الكبير ثم رتبه على أبواب الفقه، فجزاه الله عنا وعن شيخه خير الجزاء.

وقد نظم هذه النوازل العلامة محمد بن محمد الفق، تلميذ سيدي محمد بن بادي رحمهما الله، في منظومة سماها **"حلي العواطل في نظم النوازل"**، في سبعة آلاف وأربعمائة وبضع وسبعين بيتا من بحر الرجز، حسب بعض الترقيم ولعلها تزيد شيئا، وهذا النظم متداول الآن كثيرا في تمنغست وتوات، والنيجر ومالي، قال في مقدمتها:

يقــــول مــن ليس يعدّ رجـلا
فضلاً أن يقول فيه ابـن جلا
أفقـــر راجٍ لنـــوال الحــــــقّ
محمد نجـل محـمد الـفق
الأشعـري المالكـي المـذهبـي
القادري والضغوغي النسبـي
الحمد للـه الـذي قـد يسّر
للفقه أنجـــابـاً لـــه وبصـّـرا
وقيّض الفحـول للتـدوين
فيه رعـــايـــةً لهــذا الـديــن
فكلُّ قرن فيـه قرمٌ مجتهد
يفتـي بما اجتـهاده إليه أد
فكان في أوساط الأربع عشـر
من القـرون الكنتي باي بن عمر
الجامـع المعقــول للمنقـول
وآيـة فـي الفقه والأصـــول
قد جمعت فـي وقتـه نـــوازل
شهيرة ســـارت بـها القـــوافل
جمعـها ابن أخته ابن بـاد
وصـهره من سـائر البــــلاد

وقال في ختامها:

وتـمّ نظـم هـذه النــــوازل
متمماً حلـية كــــل عاطـل
نظماً طويلاً مسهباً كأصله
ولا يعــــابُ مقتفٍ لأصـله
فنفــع الله بــــه الأصـــــولا
ونـفـع الفـــــروع والذيــــولا
فخذه كنزاً خفّ حملاً مغني
يـزينه إنْ حــلّ فـي المحـافـل
كـل لبيب بـالفتاوي معنيا
لـداك سمـــي بحلـي العاطـل

**ثانياً: مسائل ومواضيع النوازل:**

1. مسائل من التوحيد.
2. مسائل الأوراد وما يتعلق بها.
3. مسائل من المعفوات وما ضاهاها من الطاهر وما فيه رخصة.
4. مسائل الطهارة مائية وترابية وما يتعلق بها من دخول مسجد ومس مصحف وشبهه.
5. مسائل الصلاة المكتوبة والنافلة.
6. مسائل الزكاة.
7. مسائل من الصيام.
8. مسائل من الحج.
9. مسائل من الذكاة.
10. مسائل من النكاح.
11. مسائل من الطلاق تصريحا وتلويحا.
12. مسائل من الخلع وما يتصل به.
13. مسائل من الرضاع وما يثبت به.
14. مسائل الحضانة.
15. مسائل من البيع والسلف والاستحقاق.
16. مسائل من القراض والشركة.
17. مسائل من الكراء.
18. بعض أحكام الرقى.
19. مسائل العارية والوديعة واللقطة والضالة.
20. مسائل من الهبة والصدقة وما يصحان به من الرشد والحوز.
21. مسائل من الوقف والحبس وما يتعلق بهما.
22. مسائل من الحجر والتفليس.
23. مسائل من الغصب والتعدي والسرقة.
24. مسائل من القضاء والشهادات والصلح.
25. مسائل مستغرقي الذمم والمدارات وشبه ذلك.
26. مسائل من الجنايات والدماء والحدود.
27. مسائل من الوصايا والتدبير والعتق.
28. مسائل من الميراث.
29. مسائل من الفطرة.
30. جامع مسائل متفرقة.

**المطلب الثالث: منهجه فيها ومصادره:**

**أولاً: منهج الشيخ باي في نوازله:**

يمكن تلخيص منهجه فيما يلي:

- **توسعه في سوق الأدلة:** والشيخ رحمه الله معروف بالتوسع في سوق الأدلة كما فعل في كتابه: السنن المبين في شرح الأحاديث المقرية , فعلى سبيل المثال في مسألة وضوء الجنب للنوم توسع بسوق الأحاديث واختلاف أهل العلم في وجوبه وعدمه ونيابة التيمم عنه واستطرد حتى ساق أدعية النوم وغيرها مما غطى 10 صفحات (من 78 إلى 88).

وفي مسألة قراءة البسملة في الفاتحة سرد أدلة المذاهب واختلافها بصورة ممتعة ومقنعة (ص:99)

- **اختياره للراجح وهو ما قوي دليله:** حيث لم يكن الشيخ باي رحمه الله ناقلا صرفا للأقوال بغض النظر عن قويها من ضعيفها وتليدها من طريفها, بل كان له اختيارات كثيرة وترجيحات بحسب المقتضيات, ففي جوابه عن البسملة في الصلاة بعد سرد الأدلة واختلاف العلماء واختياره لقراءتها قال: ولخوف ما ذكر مال الأكابر من علماء مذهبنا إلى اختيار الإسرار بها، وفيهم لنا أسوة حسنة (ص:100).
- **نقل الخلاف وعزو الأقوال لأصحابها:** الشيخ باي رحمه الله معروف بالتوسع في نقل أقوال العلماء في المسائل المختلف فيها, وتوجيه هذه الأقوال بأمانة وصدق دون تعصّب.
- **استخدامه للقواعد الفقهية:** استعمل الشيخ رحمه الله كثيرا من القواعد الأصولية والفقهية في نوازله، نذكر منها على سبيل المثال:

(مسألة من به مرض ينجس سراويله وإن نزعها نجس ثيابه الفوقية) **فأجاب:** اعلم علمك الله العلم أن ما يصيب الثوب من مثل هذا الذي ذكرت معفو عنه فليصل في سراويله إن شاء أو لينزعه إن شاء إذ العفو شامل للكل وذلك فيما تكثر إصابته من الأحداث وما يحصل من القروح وحد الكثرة أن يأتي كل يوم ولو مرة ، وأصل ذلك القاعدة المقررة، وهي **أن المشقة تجلب التيسير** وأصلها قوله تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج)[31] وهي رابعة القواعد التي عليها مبنى الفقه كله المنظومة في قول الحافظ (يعني به السيوطي):

الفقه مبناه على ما حرره أشياخنا قواعد معتبره

بشك اليقين لا يزال وأن كل ضرر مزال

وبالمشاق يجلب التيسيــر وأنه للعـادة المصيــر

- **إيراده للشعر والمسائل اللغوية والنحوية:**

استشهد الشيخ باي في نوازله بكثير من الأبيات الشعرية في الفقه واللغة وغيرهما، منها على سبيل المثال: أبيات في شروط الذكر من رائية المختار الكبير رحمه الله، حيث قال في (ص:26):

وإن شروط الذكر لا شك خمسة سأشرحها في النظم نصا كما أدري

فتركك للإسراف في الأكل واحد فدونك جنب ما يئول إلى الضـر

وثاني شروط الذكر إيثار خلـوة ففي خلوات الذكر يربح ذو تجـر

ومن بعد ذا استقبال بيت إلـهنا ورابعها استعمال ذاك على طهـر

وخامسها يا مظهر الجد مقصـد عليه بناء الذكر في مجلس الذكـر

ولا بد يا هذا من إعمال سبحـة تنظمها وترا فحافظ على الوتـر

كما أن سد العين في الـورد واجب وإلقاء راس الذل في وسط الحجر

وفي حكم الطعام الذي ولغ فيه الكلب ذكر بيتي الرقعي، قال في (ص:47)

والماء إن ولغ فيه الكلـــب فيكره الطهر به والشـــرب

لكنه في حال الاضطــرار أباحـه قوم مـن الأخيــار

- **تعليقه على بعض الكتب**: يعلّق الشيخ باي رحمه الله على بعض الكتب عند ذكرها، نذكر منها:

-تعليقه على بيع الغائب في اختصار البرادعي للمدونة (ص: 262).

-وكذا تعليقه على حاشية الرهوني في مسألة زيادة البائع أو المشتري للثاني بعد البيع قال في الجواب بعد حكمه بالجواز، وقد كتبت في هامش نسختي منه كلاما للمقري وآخر للأجهوري بهما يتم كلامه (ص:280).

-ومنها حين سئل عن كتاب شمس المعارف للبوني قال: أما بعد فاعلم أن كتب البوني كلها محذر منها سوى اثنين منها، وشمس المعارف الذي ذكرت من أحقها بالإبعاد لما هو مشتمل عليه مما لا يحل بوجه فاحذره واحذر من يعتمد عليه، هذه نصيحتي، وأما نسبتها لذلك الشيخ ففيه كلام لكن المعتمد أنها له، وليس ذلك بمجوز لها مع ما فيها مما لا يدل عليه الشرع، وقد كان بعض الأكابر يسميها بعكس اسمها ويذكر أنها لبعض أصحاب البوني، والحاصل أن الذي أدلك عليه وأرشدك إليه البعد عنها ومن كل من يعتمد عليها فإنه لا يكون في الغالب إلا مخل العقيدة وقد لا يصلح له بعض تلك الأعمال الخسيسة إلا بارتكاب أمور محرمة أو جارة إلى كفر إن لم تكن هي هو والغالب على المشتغل بها الفقر والطيش، وعليك بسلاح المؤمن والحصن الحصين وابن وهبون للخزرجي وما أشبهها من الكتب المشتملة على الأدعية النبوية الصحيحة والحسنة مع الإعراض عن الأحاديث الموضوعة إن أردت الفلاح والنجاح، والسلام(ص: 311).

- **نصائح الشيخ باي في فتاواه**:

كثيرا ما يذيل الشيخ رحمه الله فتاواه ونوازله ببعض النصائح و الإرشادات, من ذلك: «يا بنيتي أوصيك بتقوى الله وغضي بصرك واحفظي لسانك واستتري، ولا تكوني من المتبرجات بالزينة الملعونات، ففي الحديث في ذكر النساء آخر الدهر: {كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا}، أو كما قال، وفي الحديث من فاكه امرأة أجنبية حبس على كل كلمة ألف سنة، وفيه ما معناه: أن من نظر إلى أجنبية نظر شهوة يأتي يوم القيامة بين عينيه كية من نار يراها جميع أهل المحشر، والمرأة مثل ذلك فاحفظي نفسك حفظ الله دينك، واسمعي قول الله سبحانه، (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن)[32] وقوله تعالى: (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله)[33] بأذن واعية واعلمي أن الله لا تخفى

عليه خافية، وإن أعطى الله ذا دين ومعرفة ممن له مال فلا ترديه؛ فإن التزوج أغض للبصر وأحفظ للدين وأعون على أمور هذه الدنيا التي هي مزرعة الآخرة ، ولا تقولي كنت عند رجل صالح وفي بيت كبير أستحيي من دخول بيت غيره فإن لك أسوة بصالحات النساء قبلك؛ فقد توفي الصديق والفاروق وذو النورين وأمير المؤمنين علي عن نساء فتزوجن وما وضع ذلك قدرهن ولا أنكره أحد عليهن واحفظي أوقات الصلوات وإن لم تقدري على الوضوء فتحفظي من النجاسات، ومن الحائل المبطل للتيمم، وتعلمي أمور دينك، واسألي عما جهلت من ذلك وخصوصا ما يتعلق بخصوص النساء» انتهى المراد منه(ص: 446)

**نموذج من فتاوى الشيخ باي في نوازله:**

أجاب عن حكم القبض في الصلاة المفروضة بما نصه:" وأما قبض اليد اليسرى باليمنى في القيام ووضعهما تحت الصدر فقد ثبت عن الشارع ثبوتا لا مرد له وبه قال جماهير العلماء ونقل الأصحاب عن مالك استحبابه وعليه اقتصر عياض في قواعده ونصره شارحه أبو العباس القباب ونص عياض: ووضع اليمنى على ظاهر اليسرى عند النحر ، وقيل عند السرة في القيام إذا لم يرد الاعتماد، قال القباب هكذا عد ابن رشد وضع اليمنى على اليسرى من الفضائل وروى مالك في الموطإ أن ذلك من كلام النبوة ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه كان يفعله ، وفي المدونة في وضع اليمنى على اليسرى: ولا أعرف ذلك في الفريضة ولكن في النوافل يعين بهما نفسه إذا طال القيام ، فتأول ذلك عياض وأكثر الأشياخ على أن الذي أنكر إنما هو إن قصد الاعتماد، ومن الشيوخ من قال معنى قوله لا أعرفه من لوازم الصلاة، ومنهم من حمله على الظاهر، وقال في العتبية: لا أرى به بأسا في الفريضة والنافلة، قال اللخمي: وهو أحسن للحديث الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم في البخاري ومسلم ؛ ولأنها وقفة الذليل والعبد لمولاه، قال: وقيل بكراهة ذلك خيفة أن يظهر بجوارحه من الخشوع ما لا يضمره، وروي عن أبي هريرة ﷺ، أنه قال: أعوذ بالله من خشوع النفاق، قيل: وما هو قال: أن يرى الجسد خاشعا والقلب غير خاشع، وقال عياض: ذهب جمهور العلماء وأيمة الفتوى إلى أخذ الشمال باليمين في الصلاة، وأنه من سننها وإتمام خشوعها وضبطها عن الحركة والعبث، وهو أحد القولين لمالك في الفريضة والنفل، ورأت طائفة إرسال اليدين في الصلاة منهم الليث، وهو القول الآخر لمالك، وكراهة الوجه الأول قيل مخافة أن يعد من لوازمها وواجبات سننها، وقيل: لئلا يظهر من خشوع ظاهره أكثر من باطنه، وخيرت طائفة منهم الأوزاعي في الوجهي، وتأول بعض شيوخنا إنما هو لمن فعله على طريق الاعتماد، ولهذا قال مرة ولا بأس به في النوافل لطول الصلاة، فأما من فعله تسننا ولغير اعتماد فلا يكره، واختلف في وضع اليدين من الجسد فقيل عند الصدر، وهو المروي عنه عليه الصلاة والسلام، وقيل عند النحر ، وهو قريب من الأول، وقيل حيثما وضعهما جاز له ، وقيل فوق السرة ، وهو قول مالك ، وقيل تحتها والآثار بفعل رسول الله ﷺ والحض عليه صحيحة، والاتفاق أنه ليس بواجب، ومعنى تقييده ذلك بقوله : إذا لم يرد الاعتماد فإن أراد الاعتماد أي تخفيف القيام على نفسه بذلك لم يكن مستحبا بل يكره له ذلك إذا فعله في الفريضة، قال في المدونة لطول القيام، وذلك أن النافلة يجوز فيها الاعتماد لغير عذر ، ويجوز له فيها الجلوس فكيف بالاعتماد انتهى كلام القباب وفيه كفاية"[34]

**ثانياً:المصادر وكتب الفتاوى التي اعتمد عليها في نوازله[35]:**

نقل الشيخ عن كثير من كتب الفتاوى، نذكر أكثرها تداولا وهي:

1. المعيار المعرب للونشريسي.
2. فتاوى جده الشيخ سيدي محمد بن المختار الكنتي.
3. فتاوى الأوجلي.
4. فتاوى ابن رشد.
5. نوازل سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي.
6. نوازل القصري.

7.نوازل ابن الأعمش، وقد نعته بالإمام الحافظ مرارا.
8.نوازل الشريف حمى الله التشيتي.
9.نوازل البرزلي.
10.نوازل الشيخ الكبير.
11.نوازل ابن ناصر.
12.نوازل الوغليسي.
13.نوازل عبد القادر الفاسي.
14.نوازل الشيخ سيدي عمر بن سيدي علي.
15.أجوبة سيدي عيسى السكناتي.
16.الفتاوى المنسوبة لمحمد بن عبد الكريم المغيلي.
17.نوازل محمد فال بن متال المغربي.
18.فتاوي الشيخ أحمد التجاني.
19.فتاوى الشيخ عليش.
20.فتاوى محمد بن الهاشم الغلاوي.
21. نوازل الهلالي.
22.فتاوى الشيخ سيدي بن المختار بن الهيب.
23.نوازل الشريف أبي عبد الله محمد بن فاضل.
24.فتاوى الغوري أو القوري.
25.نوازل أحمد بابا التنبكتي.
26.نوازل الورزازي.
27.فتاوى سيدي محمود بن عمر أقيت.

## الخاتمـة:

عرفنا مما سبق ذكره أن فقه النوازل من أهم العلوم التي تحتاج الأمة في كل عصر ومصر للإجابة عما يستجد في حياتها، وهو فرض كفاية يقوم به المؤهلون، وهو مجال خصب للباحثين إذ من خلاله تعرف حياة الأمة في مختلف الميادين، وقد خاض فيه المتقدمون وتركوا مؤلفات جمة استفاد منها المتأخرون وأصبحت من المراجع المعتمدة في الفتاوى، وما يميز هذا الفن أن يساير الحياة الناس ويجيب عن مختلف الإشكالات والمستجدات مما يجعل هذه الشريعة الإسلامية خالدة وصالحة لكل زمان ومكان، كما عرفنا حياة هذا العالم الفذ الشيخ باي بن عمر الكنتي الوافي الجزائري الأصل وما بذله من جهد في خدمة هذا الدين، وتناولنا نوازله المشهورة بالدراسة والتحليل ببيان أهميتها ومواضيعها ومنهجه فيها، وأهم المصادر التي اعتمد عليها. فجزاه الله وجزى جميع العلماء خيراً وأسكنهم فسيح جناته (مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رفِيقا )[36].

## الهوامش:

[1]) بشير ضيف: مصادر الفقه المالكي أصولا وفروعا في المشرق والمغرب قديما وحديثا، دار ابن الحزم،بيروت، ط(1)، 1429هـ، ص: 52.
[2]) الشيخ محمد الشنقيطي: نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكي، ت: لخضر بن محمد بن قومار، دار بن الحزم، بيروت، ط(1)، 1430هـ، ص:122.
[3]) انظر بحثه في ملتقى: القيروان مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة، 1414هـ، ص: 230.
[4]) انظر: مجلة البحث العلمي العدد (29-3) السنة: ( 1399هـ)، ص: 76. وانظر: الحسن الفلالي: بحث فقه النوازل قيمته التشريعية والفكرية ( مقدم لشعبة الدراسات الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية) جامع سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 1404هـ.
[5]) سورة آل عمران الآية: (187).
[6]) سورة المائدة الآية: (03).
[7]) سورة النحل الآية: (89).
[8]) سورة طه الآية: (114).
[9]) سورة الزمر الآية: (09).
[10]) سورة المجادلة الآية: (11).
[11]) أخرجه مسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة.
[12]) أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك، وقال: هذا حديث حسن غريب.
[13]) أخرجه الشيخان عن معاوية بن أبي سفيان.
[14]) الشيخ سيد محمد بن سيد المختار الكنتي: الطرائف والتلائد في مناقب الوالدة والوالد، مخطوط بخزانة الحاج أحمد بن المصطفى الرقادي الكنتي، زاوية كنته، أدرار، ظهر الورقة (50).
[15]) بادي بن السلطان ( التاي ): كلمة عن شيخ الأقاليم الأربعة المتجاورة الشيخ باي بن عمر الكنتي، ملتقى دور الزوايا الجزائرية العلمي، زاوية كنتـة، أدرار، 2004م.
[16]) مخطوط بخزانة نجل الشيخ ابن بادي، تهقارت، تمنراست.
[17]) الشيخ سيدي المختار الكنتي: فتح الودود شرح المقصور والممدود، ،ت: مأمون محمد أحمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2002م، ص09.
[18]) بول مارتي: كنته الشرقيون، تر: محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق 1985م، ص 09.
[19]) محمد حوتية: توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة دار الكتاب العربي، الجزائر، ط(1)، 2007م. ج1، ص296. كنتة الشرقيون، المرجع السابق، ص130.
[20]) يحي ولد سيدي أحمد: ديوان الصحراء الكبرى المدرسة الكنتية والقصائد النيرات، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص327.
[21]) الشيخ حمزة الفلاني القبلاوي: ولد بساهل عام 1259 هـ، درس على والده, وعلى الشيخ المختار بن أحمد العالم، تضلع في الفقه والنحو والحديث والعروض والحساب والفرائض، توفى عام 1335 هـ بساهل من بلاد أقبلي، أولف، أدرار، أنظر: الصديق حاج أحمد: التاريخ الثقافي لإقليم توات، المرجع نفسه، ص:01.
[22]) ديوان الصحراء الكبرى، المرجع السابق نفسه، ص 327. محمد باي بلعالم، قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر، مطبعة دار هومـة، الجزائر، ط(1)، 2004م، ص250. محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات، مطبعة هومة، الجزائر، ط(1)، 2005م، ج1، ص224.
[23]) باحمد عمر الكنتي الملقب بـ:(دمه): الزوايا الكنتية أعلاما وجغرافيا، ص50.
[24]) الشيخ ختالي محمد المعروف( بمحمد أداس السوقي): محاضرة بعنوان: نوازل الشيخ باي بن عمر، ص: 04.
[25]) النيرات السبع، مخطوطة بخزانة نجله الشيخ، تهقارت، تمنراست.(عندي نسخة منه).
[26]) محاضرة الشيخ محمد بن بادي الكنتي ودوره في الحركة العلمية بالأزواد خلال القرن 14 هـ، المرجع نفسه.
[27]) ينظر: كنتة الشرقيون، المرجع السابق، ص:214. وعن دراسة نوازل الشيخ باي، المرجع السابق، ص: 05 . الزوايا الكنتية، المرجع السابق، ص:53. ديوان الصحراء الكبرى، المرجع السابق، ص:328. كلمة عن شيخ الأقاليم الأربعة المتجاورة، المرجع السابق، ص:08.
[28]) محمد حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1، ص336.
[29]) سيدي محمد بن بادي: زينة الفتيان، عندي منه نسخة مرقونة.
[30]) سيدي محمد بن بادي: مراتع الخريف على نظم بغية الشريف في علم الفرائض المنيف، عندي منه نسخة مرقونة.
[31]) سورة الحج الآية:(78).

[32]) سورة النور الآية:(31).
[33]) سورة الأحزاب الآية:(33).
[34]) نوازل الشيخ باي بن عمر، مخطوط عندي منه نسخة، ص:100-101.
[35]) الشيخ ختالي محمد ،المرجع السابق, ص:30.
[36]) سورة النساء الآية:(69)